مواقف من حياة الرسول ﷺ

يذكر لنا الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية د.بسام الشطي بعضا من المواقف في حياة الرسول التي فيها أحب الأعمال وكان عنوانها «الأعمال اليسيرة والأجور الكثيرة» فلنتعرف عليها:

جاء رجل إلى النبي ﷺ مقنعا بالحديد على مشارف المعركة، فقال: «يا رسول أأسلم أو أقاتل؟ فقال أسلم ثم قاتل فقتل، فقال النبي ﷺ عمل قليلا وأجر كثيرا» رواه البخاري، العمل إذا كان خالصا لله عز وجل وموافقا لسنة النبي، قبله الله عز وجل وضاعفه إلى عشرة، وإلى مائة، وإلى سبعمائة ضعف وأكثر من ذلك.

● وفي موقف آخر: بعد أن صلى النبي ﷺ الفجر وقعد وقام ليدخل بيته فوجد جويرية - رضي الله عنها - من بعد الفجر جالسة كما هي، سألها: مازلت على الحال التي فارقتك عليها، قالت: نعم، قال: «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم، طيلة الوقت هذا الماضي لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» رواه مسلم.

● وفي موقف ثالث: قال ﷺ لأصحابه وهم يسيرون في إحدى الغزوات تلك التجارة «إن بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا وهم معكم، شاركوكم في الأجور، لماذا؟ قال: حبسهم العذر» رواه البخاري، لأنهم يملكون صدق النية، لو كانوا مستطيعين لخرجوا».

● وفي موقف رابع للأعمال اليسيرة والأجور الكثيرة: قراءة سورة الإخلاص عشر مرات يبني لك قصرا في الجنة، وترطيب اللسان بالذكر: «الحمدلله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمدلله تملأ ما بين السماء والأرض» رواه مسلم، كم تأخذ من الجهد، كم تأخذ هذه من الوقت؟ وكم فرطنا من الوقت؟ وكم أضعنا الفرص في الاستغلال الأمثل له.

● وفي موقف خامس عندما يقول رسولنا الكريم محمد ﷺ «من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري. أي في الصلاة الجهرية وعندما يختم الإمام سورة الفاتحة تسمع منه كلمة آمين وتقولها معه، هذا الوقت تحديدا ليس قبله ولا بعده.

● وفي موقف سادس: صيام يوم واحد يبعد عنك النار سبعين سنة، وصلاة واحدة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة، وصلاة واحدة في المسجد النبوي تعدل ألف صلاة، وصلاة ركعتين في مسجد قباء بعمرة تامة.

● وفي موقف سابع: عندما تتوضأ تتساقط ذنوبك عند آخر قطرة ماء، عندما تقول بعد وضوئك: أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل.

● إن أسس التجارة مع الله وقواعدها التي لن تبور: توحيد الله عز وجل فهو الأساس المتين والبناء يسهل بعد ذلك ويتصاعد بسرعة، ولذلك مهما عمل الكافر أو المشرك من الأعمال فليس له مقابل عليها في الآخرة، قال تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا).

ويحتسب الأجر عند الله عز وجل والأجور المضاعفة، ولا أجر بلا عمل، فالذين لا يعملون بما سيؤجرون لن ينالوها، والأعمال فيها أعمال القلب واللسان وسائر الجوارح.

● المسلم يؤجر على الفعل والترك: فعندما يأكل أو يشرب أو ينام أو يلبس يؤجر عليه إذا أحسن النية، وإذا ترك المعاصي وهو قادر على فعلها وتركها لله عز وجل أجر عليها، وإذا ذهب إلى طاعة واشتدت عليه المشقة عظم له الأجر، لكن بشرط ألا يبحث هو عن المشقة، فمثلا لا يقول أريد أن أذهب إلى مكة ولا أشغل المكيف وأذهب إلى طريق مزدحم، فهذا لا يؤجر عليه.

ومثلها إذا صلى الصلاة الرباعية أثناء السفر ركعتين كان أجره أعظم، لأنه طبق السنة.

● أنواع الأجور ومميزاتها: فمثلا يريد أن يكون مرافقا للنبي ﷺ والقرب منه، فيكفل اليتيم ويسعى على الأرملة ويسأل الله عز وجل ذلك ويكثر من السجود والصلاة، ويريد أن يطيل الله في عمره ويوسع في رزقه فيصل رحمه من جانب الأب والأم، ويريد أن تكون له حراسة الله، فيصلي الفجر جماعة، يريد العتق من النار فيذب عن عرض أخيه في المجالس، ويريد الحور العين فيكظم غيظه، ففي الحديث «من كظم غيظا ولو شاء أن ينفذه أنفذه، ما عنده عجز يخيره الله من الحور العين يوم القيامة ما شاء» رواه الترمزي.. وهكذا.

● علينا أن نقرأ كثيرا في كتب فضائل الأعمال الصحيحة، وأن نبشر بها الناس ونعلمهم وندعوهم بكل الوسائل والأساليب الممكنة المتاحة والمباحة حتى يتنافس الجميع، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل أدومها وإن قل.

أكد أن القوانين لا يمكن أن تغني عن الأخلاق

القشعان: الالتزام السلوكي بأخلاقيات وتعاليم الإسلام علاج للمسكرات والمخدرات

هناك من يقول ان القوانين منها ما يمكن ان يغني عن الاخلاق أو ان الاخلاق يمكن ان تغني عن القوانين، ذلك ان التاريخ البشري والحياة اليومية لم يعرفا هذا الفصل لا نظريا ولا عمليا، كما انه يجب التفريق بين مفاهيم ثلاثة، الاخلاق والقيم والاعراف اضافة الى اهمية التفريق بين القيم العامة والقيم الاسلامية، هذا ما اكده البروفيسور د.حمود القشعان مؤكدا ما قاله امير الشعراء احمد شوقي:

إنما الأمم الاخلاق ما بقيت
فإن هموا ذهبت اخلاقهم ذهبوا

حول قيم الاخلاق كان هذا الحوار:

ما مفهوم الأخلاق في نظركم؟

● إنها الممارسات والضوابط السلوكية للفرد في المجتمع خلال فترة زمنية، وهناك الأخلاق الاجتماعية وهناك الأخلاق الاقتصادية وغيرها من مجالات التعامل الحياتي واليومي. تطلق كلمة سلوك على الأفعال التي يأتيها الفرد ويكون لها علاقة بحياته النفسية أو العقلية (سعيد، 1998م: 31) كما يعرف الخلق بأنه «تكامل للعادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل الى الاستقرار والثبات وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل» (السيد، 1986م: 326) يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : «فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة.. (الإحياء). ويقول الماوردي: إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الأمور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب.

فالأخلاق تعمل على ضبط الفرد لشهوته ومطامعه كي لا تتغلب على عقله ووجدانه، لأنها تربط سلكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوئها وعلى هديها في الحكم على الخطأ والصواب والحسن والقبيح والخير والشر.

وتختلف رؤى الاجتماعيين للأخلاق، فهنالك من يرى أن القواعد الأخلاقية ثابتة لا تتطور أو تتعدل وهناك من يرى أنها تتبدل بتبدل وتغير الأحداث والظروف الاجتماعية الاقتصادية. وبالمقابل هنالك من يرى أنها متجددة ومتغيرة حسب الظروف والزمان، بل حسب

د.حمود القشعان

سلوك خلق الصدق وعدم الخيانة للنفس وللآخرين والالتزام بحسن استغلال الأوقات والتحدث بتفاؤل وتطبيق النظام من أخلاقيات المسلم

ولا تقاس بنتائجها وانما كذلك ببواعثها والنيات من خلفها: «إنما الأعمال بالنيات».

السلوك الإنساني

ما أقسام الأخلاق؟

● تقسم الأخلاق في الإسلام لتشمل جميع أنواع السلوك الإنساني، إلا ان ما يهمنا هو السلوك الأخلاقي المجتمعي أو ما يمكن تسميته بالأخلاق الجماعية، ولهذا فإن السلوك وفقا للأخلاق يقسم إلى قسمين، أولها السلوك الفردي والآخر هو السلوك الجماعي.

فمن الأخلاقيات بالسلوك الفردي، سلوك خلق الصدق مع النفس وسلوك خلق عدم الخيانة للنفس وللآخرين وسلوك الالتزام بحسن استغلال الأوقات وسلوك خلق التحدث بالتفاؤل، وسلوك الالتزام بتحقيق وتطبيق النظام سواء كنت منفردا أو مع الآخرين.

أما الأخلاق التي تتضمن السلوك الجماعي، فتتمثل في سلوك خلق الصدق بالمعاملات والتعاملات الإنسانية، وكذلك سلوك خلق الحلم عند الخلافات، وسلوك خلق الأمانة عند البيوع، وسلوك الصبر على إساءات الآخرين، وسلوك العفة عند الخلوة، أمام المحرمات، وسلوك العفو عند المقدرة، وسلوك إكرام الضيف عند الشح وقلة المؤونة، وخلق عيادة المرضى.

إن نشأة السلوك الاجتماعي يأتي نتيجة لتفاعل الإنسان مع غيره من أبناء المجتمع، والذي تنتج عنه ظواهر اجتماعية إيجابية متعددة كالظواهر الأسرية والتربوية والاقتصادية، وغيرها (السيف، 1417 هـ : 23-46) ولا يبقى هذا التفاعل المكون للسلوك مع المحيطين على نمط واحد طوال حياة الفرد، يتطور ويتغير تبعا لمراحل النمو المختلفة من الطفولة الى الشيخوخة (السيد، 1986م: 18).

حماية المجتمع

ما ضرورة الأخلاق الجماعية لحماية المجتمع؟

● التمعن بحديث: «أتدرون من المفلس؟» يعطي لنا الصورة الأساسية للأخلاق الجماعية لخلق العدالة والتعاضد وعدم الظلم بين أفراد المجتمع، فقد جاء بالحديث الذي رواه مسلم عندما سأل النبي ﷺ الصحابة قائلا: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا،وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار».

كما ان خلق المواطنة والتعايش بين أفراد المجتمع يجب ان يكون خلقا إسلاميا ومجتمعيا فقد حذر الإسلام من شق خلق التوحد المجتمعي بل وجاء لترسيخ مبدأ الوحدة الوطنية كخلق أصيل ومهم وتحديدا ونحن نعيش فترة الانتخابات البرلمانية، فقد جاء بالحديث الذي أخرجه الإمام مسلم والذي يؤصل الأخلاق الجماعية والمجتمعية عنه ﷺ «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه».فمن الأخلاق الاجتماعية التي تعد من أرقى الأخلاق الاجتماعية هو، خلق إصلاح ذات البين، فعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: «صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» الترمذي.

الانحراف

وكيف تحد من السلوك الانحرافي؟

● لقد أطلع الباحث من خلال إعداده لهذه الدراسة على العديد من الدراسات العربية والتي درست أهمية السلوكيات الأخلاقية العامة ودورها في قياس بعض الظواهر الاجتماعية والسلوكية، فعلى سبيل المثال كانت دراسة بدري بالسودان عن دور الالتزام السلوكي بأخلاقيات وتعاليم الدين الإسلامي في علاج مشكلة المسكرات «بدري 1978»، حيث أثبت الباحث أهمية الالتزام السلوكي بأخلاقيات وتعاليم الدين الإسلامي بالوقاية من الوقوع بالمسكرات والمخدرات، وفي دراسة اخرى لوزارة الداخلية الكويتية بالتعاون مع وزارة الأوقاف وجمعية بشائر الخير الكويتية حول أعداد ونسب المساجين المفرج عنهم ونسبة عودتهم للسجن بعد قضاء مدة العقوبة (2006)، فقد أكدت إحصاءات وزارة الداخلية وإحصاءاتها الرسمية من انخفاض واضح وملحوظ لنسب وأعداد العودة للسلوك الإدماني نتيجة تطبيق العلاج الإيماني والأخلاقي لعلاج والوقاية من المخدرات.

قصة وعبرة

الذنب والمعزة

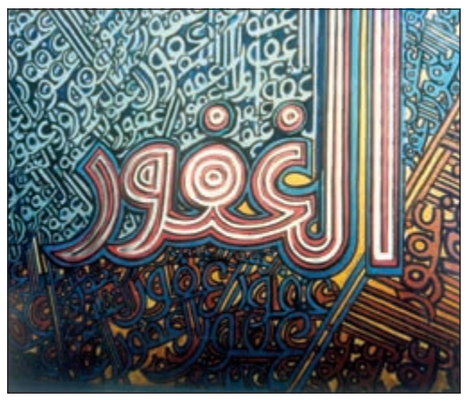

روى لنا احد الصالحين، رحمه الله، قصة لأحد الأشخاص، فقال: لي اخوة في الله ازورهم بين فترة وأخرى حيث انهم يسكنون في محافظة غير التي اسكنها وليس بيني وبينهم تجارة ولكني أزورهم في الله غير انه يوجد شخص واحد بينهم فيه كل الصفات الحسنة لكنه لا يصلي وفي كل مرة أزورهم فيها أحدثه وأحثه في موضوع الصلاة فيكون جوابه ان الله يهدي من يشاء، ومن كثرة ما أحثه على الصلاة أصبح أحيانا عندما يراني يتوارى عن الأنظار كي لا أحدثه عن الصلاة وأهميتها.

وفي آخر مرة زرتهم فيها قلت له سأقول لك ما قاله المصطفى ﷺ حيث قال في الحديث الشريف: «الصلاة عماد الدين فان صلحت صلح سائر العمل وان فسدت فسد سائر العمل» فكان جوابه بارك الله فيك يا شيخنا وجزاك الله خيرا ولكني أعود وأقول ان الله يهدي من يشاء: ثم ودعتهم وانصرفت إلى مقر سكني.

وبعد فترة ليست بالقصيرة زرتهم مرة أخرى وكان الوقت بعد الظهر بقليل فسلمت عليهم وجلسنا في غرفة الضيافة غير ان صاحبنا الذي لا يصلي لم يكن موجودا معهم في تلك اللحظة فسألت عنه أين عبدالسلام؟ قالوا انه يصلي وسيأتي بعد دقائق، ماذا؟ يصلي؟ ما شاء الله، الله اكبر، كيف اخبروني قالوا سيأتي هو ويقص عليك القصة: وما هي إلا دقائق وحضر عبدالسلام وسلم على الشيخ الفاضل ورحب به وجلس، قال الشيخ: سمعت عنك أخبارا طيبة وسرتني كثيرا، أخبرني كيف ومتى بدأت تصلي؟

قال سأقص عليك القصة: كما تعلم يا شيخنا انا املك قطيعا من الأغنام والماعز واخرج بها كل يوم إلى المرعى لتسرح في ارض الله ثم أعود بها إلى الدار مساء وعندما ترتاح نبدأ بحلبها وقد لفت نظري معزة واحدة فقط من بين جميع الماعز كلما أردت حلبها لا اجد فيها حليبا إلا ما يكفي صغارها فراقبت هذه المعزة بالذات فوجدت العجب، لاحظتها عندما نعود الى البيت تبدأ بتقصير خطواتها الى ان تتخلف عن القطيع ثم تلتفت يمينا ويسارا وتهرول مسرعة إلى مكان معين، علما اني لم ادعها تراني وبعد عدة دقائق خرجت مسرعة من ذلك المكان باتجاه البيت ولحقت بالقطيع لحظة دخوله البيت عندها تركتها وذهبت إلى ذلك المكان فهالني ما رأيت يا شيخنا! لقد رأيت حفرة فيها ذئب أعمى؟ سبحان الله الذي رزق الخلائق ولم ينس منهم احدا، وتساءلت في نفسي لماذا لم يأكل الذئب هذه المعزة مع انها فريسته المفضلة؟ انه أمر الله تبارك وتعالى للمعزة والذئب، فالحيوان لم يخالف أمر الله، فمالي انا أخالف أمرا في أهم فريضة فرضت في السماء ألا وهي الصلاة؟!

وعندها تذكرت قصة قابيل وهابيل (أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخي) وانا أعجزت ان أكون مثل المعزة والذئب فأنفذ أمر الله عز وجل وأصلي وأشكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى فلم أجد بدا أبدا إلا ان أصلي ولا انقطع أبدا والحمد لله على نعمه واسأله ان يغفر لي ما مضى ويرحمني.. آمين عندها قال الشيخ بارك الله فيك يا أخي والحمد لله الذي نور بصيرتك بسبب هذا الذي رأيته واسأل الله ان يوفقنا جميعا لفعل كل ما هو خير للجميع. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

حديثان شريفان عن النساء

قال الله تعالى (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا - الاسراء: 23)، لقد ثنى الله عز وجل بحق الوالدين بعد الامر بعبادته وتوحيده، لاسيما الام التي بدأ الله بها وجود كل موجود، وحياة كل مولود، منذ خلق آدام وحواء وجعل منها للطفل جنة من الحنان واجرى له في صدرها نهرين من الرزق، ومن ثم اوجب الله الاحسان الى الوالدين في اكثر من آية، قال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير - لقمان: 14)، واخرج الامام احمد عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله يوصيكم بآبائكم، ان الله يوصيكم بأمهاتكم، ان الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب»، وروى البخاري عن ابي هريرة قال: جاء رجل الى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي؟ قال: امك، قال: ثم من؟ قال: امك، قال: ثم من؟ قال: ثم امك، قال ثم من؟ قال: ابوك، فديننا الحنيف يأمرنا ببر الوالدين والاحسان اليهما وطاعتهما في غير معصية، قال تعالى (وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا - لقمان: 15)، وقد جعل الله برهما، طريقا الى الجنة، روى ابن ابي شيبة والبيهقي ان النبي ﷺ قال: من اصبح مطيعا لله في والديه، اصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وان كان واحدا فواحدا، ومن اصبح عاصيا لله في والديه، اصبح لي بابان مفتوحان من النار، وان كان واحدا فواحدا، قال رجل: يا رسول الله وان ظلما؟ قال: وان ظلما. وروى ابن ماجه في سننه: ان رجلا اتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: هما جنتك ونارك. ولا يوجد اي تعارض بين قول النبي ﷺ «الجنة تحت اقدام الامهات» وقوله «اطلعت على النار فرأيت اكثر اهلها من النساء»، فقد تكون الام غير مسلمة او عاصية لله ولكن بر ابنها بها في غير معصية لله يجعل له طريقا الى الجنة.

بقلم: علي خليفة